فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض والغمار بكسر المعجمة جمع
غمرة كثمرة وثمار واصله الماء الكثير الذي يغمر ما فيه اي يستره
ويواريه ثم قيل لكل شدة يغمر المكروه غمرة ومنه في
غمرات الموت والمقدم على الامر الداخل فيه نحرا وضد
الاقدام الاحجام تنقد بهم الماء والمعنى ان الجاه والمال
في الدنيا لا يحصل الا مع المخاطرة بالنفس فان ملت الى
حب السلامة فالاولى بحالك اعتزال الناس والاقناع
بالقليل منها مع الخمول ولا يخفى ما في هذه الابيات من الحث
على طلب المعالي الدنيوية ولو باقتحام الاهوال فيها
وذم العجز والتحذير عن التكاسل عنها وخطابه فيها
يحتمل ان يكون لصاحبه الذي عرض عليه الموافقة اي
الحي تنشيطا له ويحتمل ان يكون خطابا لنفسه
وهو الذي يسميه اهل البلاغة التجريد كما سياتي في قوله
يا واردا سؤر عيش كله كدر وما نغبه ولابن نباتة السعدي
لحى الله ملاذ الفوائد من المنى ان امكنته فرصة لا ينتهز
وقال الخطيب في طلب العلا
بلاحظها حبا بقرب طلالها ... ويصبح في ادبارها يتبشر
ولبعضهم
بقدر الكد تكتسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلا ... يغوص البحر من طلب اللآلي
وما حث عليه الناظم من طلب العلا هو الجاه الدنيوي
وحقيقته استمالة قلوب العباد بالملك والملك والرغبة
والرهبة وتنفذ الارادات بالاستيلاء والقهر مع العلو

والاحسان

والاحسان وكسب الحمد والثناء وهذا هو اللائق بحال الم الناظم
وامثاله لكن قال الله تعالى وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا
والاخرة عند ربك للمتقين ولهذا اوقعهم هذا الطلب
في العطب ولم يحمد عواقب الدنيا في المنقلب ولله در
القائل حيث قال
هذه الدنيا وهذا شانها ... اتعب الناس بها اهواتها
وذوي الاحلام قالوا انها ... حلم ينقضي بها يقظانها
اتعب افعل تفضيل مضاف الى الناس والاحلام العقول
وينقضي يمضي وقد قال الله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة
للمتقين ولهذا اثر ارباب البصائر الخمول وطلبوا السلامة
التي زعم الطغرائي ان حبها يثني عزم المرء عن المعالي
واثروا جاه الاخرة على الدنيا وقنعوا عن جاه الدنيا
بالبلل وصاموا عن الدنيا حتى افطروا على الاخرة في
الملك الكبير والنعيم المقيم كما قيل
انّ لله عبادا فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ... انها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الاعمال فيها سفنا
هذا مع ان العقل يقضي بان الخمول مع السلامة اولى
من الجاه مع الهلاك لما في الخمول من الراحة للقلب
والبدن ولهذا ارتضى الخمول جماعة من رؤسا العلماء
والحكما وفارقوا ما كانوا عليه من المناصب بلا اراد ذلك منهم
لا مخرما كما قيل

Copyright © King Saud University